

تفسير البحر المحيط

@ 411 أي لحم متبع ، ويتعلق بحرمانا . وتقدم السبب على المسبب تنبيهاً على فحش الظلم وتقبيحاً له وتحذيراً منه . والطيبات هي ما ذكر في قوله : { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا * سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأْتَاهُمْ السَّاعَةُ } الألبان وبعض الطير والحوت ، وأحلت لهم صفة الطيبات بما كانت عليه . وأوضح ذلك قراءة ابن عباس : طيبات كانت أحلت لهم . .

{ وَبِمَصَدِّهِمْ ءَعَنَ سَيِّدُ اللَّيْلِ كَثِيرًا } أي ناساً كثيراً ، فيكون كثيراً مفعولاً بالمصدر ، وإليه ذهب الطبري . قال : صدوا بجحدهم أمر محمد صلى الله عليه وسلم (جمعاً عظيماً من الناس ، أو صد كثيراً . وقدره بعضهم زماناً كثيراً . .

{ وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّا وَقَدَّ نُهُوْا ءَعْنَهُ } وهذه جملة حالية تفيد تأكيد قبح فعلهم وسوء صنيعهم ، إذ ما نهى الله عنه يجب أن يبعد عنه . قالوا : والربا محرم في جميع الشرائع . .

{ وَأَكْذَلَهُمْ ءَمَوَالِ النَّاسِ بِالْإِبْطَالِ } أي الرشا التي كانوا يأخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب . وفي هذه الآية فصلت أنواع الظلم الموجب لتحريم الطيبات . قيل : كانوا كلما أحدثوا ذنباً حرم عليهم بعض الطيبات ، وأهمل هنا تفصيل الطيبات ، بل ذكرت نكرة مبهمة . وفي المائدة فصل أنواع ما حرم ولم يفصل السبب . فقيل : ذلك جزيناهام ببغيهم ، وأعيدت الباء في : { وَبِمَصَدِّهِمْ } لبعده عن المعطوف عليه بالفصل بما ليس معمولاً للمعطوف عليه ، بل في العامل فيه . ولم يعد في : { وَأَخَذَهُمُ } وأكلهم لأن الفصل وقع بمعمول المعطوف عليه . ونظير إعادة الحرف وترك إعادته قوله : { فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِّيثَاقَهُمْ } الآية . وبدء في أنواع الظلم بما هو أهم ، وهو أمر الدّين ، وهو الصد عن سبيل الله ، ثم بأمر الدنيا وهو ما يتعلق به الأذى في بعض المال ، ثم ارتقى إلى الأبلغ في المال الدنيوي وهو أكله بالباطل أي مجاناً لا عوض فيه . وفي ذكر هذه الآية امتنان على وجه الأمة حيث لم يعاملهم معاملة اليهود فيحرم عليهم في الدنيا الطيبات عقوبة لهم بذنوبهم . .

{ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ ءَعَذَابًا * مَّهِينًا } لما ذكر عقوبة الدنيا ذكر ما أعد لهم في الآخرة . ولما كان ذلك التحريم عاماً لليهود بسبب ظلم من ظلم منهم ، فالتزمه ظالمهم وغير ظالمهم كما قال تعالى : { وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً } بين أن العذاب الأليم إنما أعد للكافرين منهم ، فلذلك لم يأت وأعتدنا لهم . .

{ لا كِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا
أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ
وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُسْتَضِيعِينَ لِنُورِ الْكَرَامَةِ هُنَا فِي غَايَةِ الْحَسَنِ ، لَأَنَّهَا
دَاخِلَةٌ بَيْنَ نَقِيزِينَ وَجَزَائِهِمَا ، وَهُمْ : الْكَافِرُونَ وَالْعَذَابُ الْأَلِيمُ ، وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْأَجْرُ الْعَظِيمُ ،
وَالرَّاسِخُونَ الثَّابِتُونَ الْمُتَنَصِّبُونَ الْمُسْتَبْصِرُونَ مِنْهُمْ : كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْرَابِهِ ، وَالْمُؤْمِنُونَ
يَعْنِي مِنْهُمْ ، أَوْ الْمُؤْمِنُونَ عَنِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ عَامٌ فِي مَنْ آمَنَ . .
وَارْتَفَعَ الرَّاسِخُونَ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ ، وَالْخَبَرُ يُؤْمِنُونَ لَا غَيْرَ ، لِأَنَّ الْمَدْحَ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ تَمَامِ
الْجُمْلَةِ . وَمَنْ جَعَلَ الْخَبَرَ أَوَّلُكَ سَنَوَاتِهِمْ فَقَوْلُهُ ضَعِيفٌ ، وَانْتَصَبَ الْمُقِيمِينَ عَلَى الْمَدْحِ ،
وَارْتَفَعَ وَالْمُؤْتُونَ أَيْضًا عَلَى إِضْمَارٍ وَهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْقَطْعِ إِلَى الرَّفْعِ . وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُعْطَفَ عَلَى
الْمَرْفُوعِ قَبْلَهُ ، لِأَنَّ النِّعْتَ إِذَا انْقَطَعَ فِي شَيْءٍ مِنْهُ لَمْ يَعُدْ مَا بَعْدَهُ إِلَى إِعْرَابِ الْمَنْعُوتِ ،
وَهَذَا الْقَطْعُ لِبَيَانِ فَضْلِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، فَكَثُرَ الْوَصْفُ بِأَنْ جَعَلَ فِي جُمْلَةٍ . .
وَقَرَأَ ابْنُ جَبْرِ ، وَعَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ ، وَالْجَحْدَرِيُّ ، وَعِيسَى بْنُ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ ، وَعَصَمَةُ
عَنِ الْأَعْمَشِ وَيُونُسَ وَهَارُونَ عَنْ أَبِي عَمْرٍو : وَالْمُقِيمُونَ بِالرَّفْعِ نَسْقًا عَلَى الْأَوَّلِ ، وَكَذَا هُوَ فِي
مِصْحَفِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ الْفَرَاءُ . وَرَوَى أَنَّهَا كَذَلِكَ فِي مِصْحَفِ أُبَيٍّ . وَقِيلَ : بَلْ هِيَ فِيهِ ،
وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ كَمِصْحَفِ عُثْمَانَ . وَذَكَرَ عَنْ عَائِشَةَ وَأَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ : أَنَّ كِتَابَهَا بِالْيَاءِ مِنْ خَطِّ
كَاتِبِ الْمِصْحَفِ ، وَلَا يَصِحُّ عَنْهُمَا ذَلِكَ ، لِأَنَّهُمَا عَرَبِيَانِ فَصِيحَانِ ، قَطَعَ النِّعْتَ أَشْهَرُ فِي لِسَانِ
الْعَرَبِ ، وَهُوَ بَابٌ وَاسِعٌ ذَكَرَ عَلَيْهِ شَوَاهِدُ سَبْيُوهِ وَغَيْرِهِ ، وَعَلَى الْقَطْعِ خَرَجَ سَبْيُوهِ ذَلِكَ . .
قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ : وَلَا نَلْتَفِتُ إِلَى مَا زَعَمُوا مِنْ وَقُوعِهِ لِحَنًا فِي خَطِّ الْمِصْحَفِ ، وَرَبَّمَا التَّفَتُّ
إِلَيْهِ مِنْ يَنْظَرُ فِي الْكِتَابِ وَلَمْ يَعْرِفْ مَذَاهِبَ الْعَرَبِ وَمَا لَهُمْ فِي النِّصْبِ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ مِنَ الْإِفْتِتَانِ
، وَعَنَى عَلَيْهِ : أَنَّ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ مِثْلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلُهُمْ فِي